مرحلة الاسرائيليين الاولى

بعد عبورهم البحر الاحمر

لحضرة الخوري لويس ملحم كاهن الوارنة في الاسكندرية

مما لا يتمارى فيه اثنان انَّ ما عثر ويعثر عليه علماء الآثار حيناً بعد آخر من بقايا قدماء الامم والشعوب الذين ورد ذكرهم في بطون الاسفار الالهيَّة مع ذكر الاماكن التي توطَّنوها واستعمروها قد اجلى وما برح يجلي عن ايات الكتاب العزيز كثيراً من الشبهات والغوامض ولاسيما في هذه الاعصار الاخيرة لكثرة عدد البعثات والرحلات التي باشرها الاثريون قاصدين تلك الامكنة السحيقة فطووا بيدها واستنطقوا آثارها. ومن ثم أقبل علماء الكتاب المقدس على درس هذه الآثار والاماكن بدقَّة نظر ومن اهمّ ما أخذوا بالبحث عنهُ الطريق الذي نهجهُ الاسرائيليون في البريَّة بعد عبورهم البحر الاحمر والمراحل التي كانوا يحلُّون بها مرحلةً مرحلةً حتى ارض الميعاد واذ قد تسنَّى لنا أن نتوجَّهُ منذ عهد قريب الى « عيون موسى » وهي على رأي بعضهم المرحلة الاولى التي انتهى اليها شعب الله بعد عبور البحر الاحمر فخطر لنا اذ ذاك ان نكتب مقالة في تلك المرحلة نأتي بها على زبدة ما اقتبسناهُ من اقوال وآراء هؤلاء العلماء على صفحات المشرق الزاهر فنقول :

انبأنا صاحب سفر الخروج (فصل ١٥ ع ٢١ و ٢٢) بسير الاسرائيليين بعد قطع البحر الاحمر قال : « ثم ارتحل موسى باسرائيل من بحر القلزم وخرجوا الى برِّيَّة شور فساروا ثلثة ايام في البريَّة ولم يجدوا ماء فأفضوا الى مارَّة فلم يطيقوا ان يشربوا من مائها لانهُ مرٌّ ولذلك سُمِّيَت مارَّة ». اما اين موقع مارَّة هذه ؟ فذلك امر تضاربت فيه اقوال العلماء وتباينت ولاسيما ان مفسّري الكتب المقدسة كالقديس ايرونيموس وغيرهُ لم يرشدونا الى موقع مارَّة المذكورة وكذلك قدماء السيَّاح الذين جاؤوا تلك الانحاء كالقديسة سلفية او ايتيريَّة في القرن الرابع وانطونيوس الشهيد في الخامس لم يعينوا لنا موقع تلك المرحلة البعيدة. فشدَّ علماء الاعصار الاخيرة مئزرهم لاكتشاف

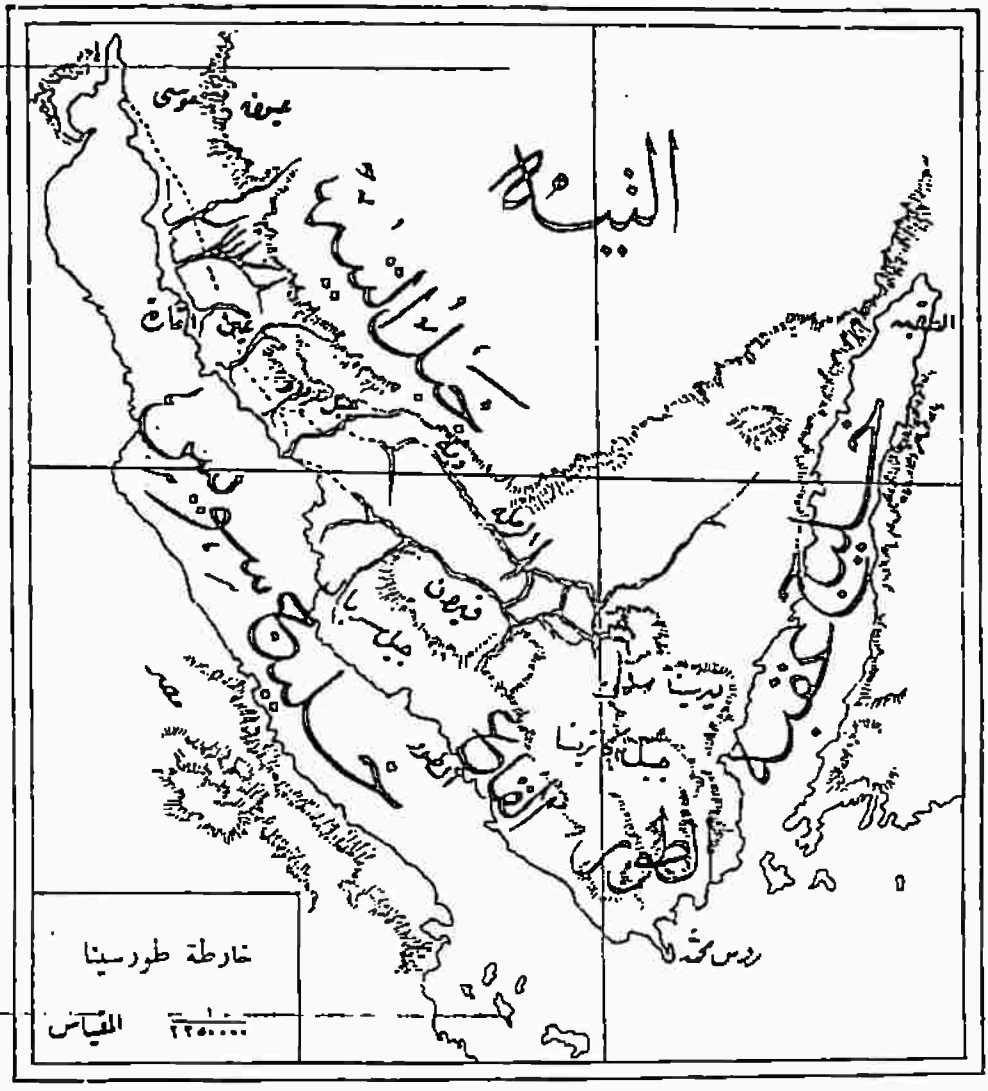
سيناء
خارطة طور سينا
المقياس ١ : ٢٢٥٠٠٠٠

هذا المكان ولكنهم قد اختلفوا فيما بينهم فقال فريق ان الاسرائيليين بعد ان عبروا البحر الاحمر جعلوا مرحلتهم الاولى في الموضع المعروف اليوم بعيون موسى (١ وسندوا قولهم الى تقليد شاع على قولهم بين سكّان تلك الجهات وانما هو قول ضعيف المستند فيما يظهر. اما اوّلاً فلانهُ لا ينطبق مع نصّ الكتاب القائل: « ان الاسرائيليين ساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فافضوا الى مارّة » والحال ان عيون موسى لا تبعد عن سيف بحر القلزم الا مسافة قريبة فالقول بانهما ومارّة مكان واحد لا سند لهُ في الكتاب. اما ثانياً فلانّ التقليد المنتشر في تلك الجهات يصعب اثباتهُ بالادلّة الراهنة فليس هو بدليل كافٍ للجزم بان الاسرائيليين جعلوا مرحلتهم الاولى في عيون موسى بعد عبور البحر الاحمر ولعلهم مرّوا فقط هناك فحسبها الناس مرحلتهم الاولى

وذهب قوم الى ان « مارّة » الكتاب هي المكان المسمى اليوم عين « حوّارة » ولهؤلاء فيما يذهبون اليهِ من الادلّة ما لا يخلو من السداد فقالوا اولاً — اذا ثبت ان اجتياز الاسرائيليين البحر الاحمر كان في ضواحي مدينة السويس (٢ بحسب

---

١) ان عيون موسى واقعة شرقي مدينة السويس ولا تبعد عنها اكثر من اثني عشر ميلا وهي كائنة في وسط خميلة من النخيل وماؤها صافٍ ينبجس من الارض متدفّقاً ذو طعم مالح يميل الى المرارة

٢) تعدّدت اراء العلماء في مسألة تعيين الموضع الذي منهُ اخذ الاسرائيليّون عبور بحر القلزم. والذي عوّل عليهِ الاكثرون اليوم هو انهُ لما ادرك العبرانيون حدود البحر المذكور سا عتّموا ان خلّوا هناك بجوار الجبل المعروف اليوم بجبل « عتاقة » حيث كانت « بعل صفون » على الارجح لكي يتحفزوا للسير الى برّية سينا. فهناك فاجأهم جيوش فرعون فخافوا جدًّا بحيث لم يعدّ لهم سبيل ليلوذوا بالفرار من وجه عدوهم لان جبل عتاقة كان يمنعهم من جهة الغرب والجنوب عن اجتيازه لصعوبة مرتقاه ومياه البحر الاحمر تصدّهم عن بلوغ جهة الجنوب الشرقي ومركبات فرعون قطعت عليهم كل الطرق من جهة الشمال والشمال الشرقي فصرخوا حينئذٍ الى الرب فقال الرب الى موسى (خروج ف ١٤ ع ١٦): « ارفع عصاك ومدّ يدك الى البحر فشقّهُ فيدخل بنو اسرائيل في وسطهِ على اليبس ». فدخلوا وبدخولهم البحر من شاطي الخليج الغربي قد اتجهوا خطًّا منحرفًا الى حد الشاطي الشرقي والمظنون ان هذا الحد الذي انتهى اليهِ عندهُ هو النقطة التي يسار منها اليوم الى عيون موسى فارّة فجبل سينا (اطلب معجم الكتاب المقدس للاب فيكورو في مادّة البحر الاحمر) (Vigouroux: *Dictionnaire de la Bible*, V, 1215 seqq)

التقليد المجمع عليهِ في ايامنا فتكون المسافة من ضواحي المدينة المذكورة الى عين حوّارة نحو ثلاثة ايام ولا يخفى ما في ذلك من الاتفاق التام مع الكتاب الكريم حيث قال : « فساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء . . . فافضوا الى مارّة » . وفي سفر العدد (ف ٣٣ ع ٨) : « وارتحلوا من امام الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية وساروا مسافة ثلاثة ايام في برّية ايتام ونزلوا بمارّة »

قالوا ثانياً — ان ما المع اليه صاحب سفر الخروج بقولهِ : « ان العبرانيين ساروا في البرية ثلاثة ايام ولم يجدوا ماء » قد اثبتهُ اليوم اصحاب الرحلات الذين رادوا تلك القيعان الجرداء الواقعة بين البحر الاحمر وعين حوارة اذ لم يروا فيها شيئاً من الماء الّا بعض اعشاب وشجيرات ذابلة وحصى سوداء تعلوها الرمال الامر الذي يسهّل التوفيق بين اقوالهم واقوال الكتاب بدون ادنى تكلُّف

قالوا ثالثاً — ان مشهد تلك الجهة البعيدة وموقع عين حوارة وخواصّ مائها كل ذلك ممّا يؤيد القول بانّ هناك موقع « مارّة » الكتاب لان العين المشار اليها على ما قال الاب ڤيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (١ هي واقعة على راس رابية صغيرة ذات تربة كلسية وقياس سطح مائها يبلغ مترًا وثمانين سنتيمترًا وعمقها يناهز الستين سنتيمترًا امّا طعم مائها فيختلف باختلاف الفصول لكنهُ لا يخلو من المرارة ابدًا حتى ان الناس لا يستطيعون ان يشربوا من هذا الماء ولا الجمال ايضاً الّا اذا اشتدّ عليها سُعار العطش

ولا يُحتفل بقول من زعم بان كمّيّة الماء الموجودة في عين حوّارة اليوم لا تكفي لارواء غليل الاسرائيليين ومواشيهم لانهُ لا بدّ من ان يقال ان ماء تلك العين كان اغزر في ذلك العهد بنوع انهُ كفى الاسرائيليين مؤونة شربهم (٢

بقي ان نقول كلمة في الشجرة التي استعملها موسى لتحويل الماء المرّ الى عذب . فقد جاء في التوراة (خروج ف ١٥ ع ٢٥) :

« فصرخ (موسى) الى الرب فهداهُ الرب الى شجرة هناك فالقى منها في الماء

---

١) راجع كتابهُ : (Vigouroux: *La Bible et les découvertes modernes*, II, 452)

٢) اطلب معجم الكتاب المقدس للاب ڤيكورو في مادة « مارّه » Dictionnaire de la Bible. IV, 708)

فصار عذباً . . . » ولسائل ان يسأل أفي ذلك التحويل ما يُعزى الى قوّة فائقة الطبيعة او كان للشجرة المذكورة خاصّة طبيعية من شأنها ان تجعل الماء المرّ عذباً

نقول ان بعضاً من المفسّرين القدماء والسيّاح الذين طافوا في تلك الفلوات والمفاوز كثيراً ما قصدوا لمباطة اللثام عن هذه المسألة ولكنهم لم يأتوا باقوال قاطعة يرضى بها العقل فقد روى يوسيفوس في كتاب العاديات اليهوديّة (١ ما نصهُ : « وهكذا لم يعُدْ يعلم موسى اية ذريعة يتذرع بها وكان شاعراً ببلايا الشعب كما لو كانت بنفسهِ لان جميعهم كانوا ملتجئين اليهِ فالامهات يرجونهُ ايرأف باولادهن والازواج بزوجاتهم وكل يستحلفهُ ليبحث عن مداواة شر عظيم كهذا ففي مثل هذه الحاجة الماسّة صرخ الى الرب طالباً من مراحمهِ ان يحوّل هذا الماء المرّ الى عذب فاعلمهُ الله بانهُ يمنحهُ هذه المنّة واذ ذاك اخذ قطعة من عود وقسمها الى قسمين وبعد ان القاها في العين قال للشعب : ان الله قد اجاب الملتمس وانهُ سيزيل من هذا الماء كل ما هو رديء بشرط ان ينفذوا كل ما يامرهم بهِ . فسألوه ماذا يجب عليهم عملهُ فامر الاشداء بينهم بان يستقوا من العين كمية وافرة من الماء مؤكّداً لهم بان ما يتبقّى يضحي صالحاً للشرب . ففعلوا وما لبثوا ان حصلوا على مفعول الوعد الذي وعدهم بهِ »

ولا نعلم ايكون هذا المؤرخ قد اختلق هذه الرواية او نقلها عن تقليد ما ومهما يكن من الامر فانهُ لم يوقفنا على جنس تلك الشجرة التي استعملها موسى

اما علماء اليوم فقد ذهبوا في ذلك مذهبين فقال قوم ان في امر القاء شيء من الشجرة التي اشار اليها الرب في الماء ليحوّلهُ من مرّ الى عذب لآيةٍ الهية ولعلهم استنتجوا ذلك من قول يشوع بن سيراخ (ف ٣٢ ع ٥) : « اليس بعودٍ تحوّل الماء عذباً حتى تعرف قوت الربّ »

وقال آخرون : انهُ طبيعي وعزوا ذلك الى خاصة طبيعيّة في تلك الشجرة بيد انهم قد اختلفوا في مسألة تعريفها فمنهم من سماها ادلفا (Adelpha) وهي نبات شديد المرارة ينمو في تلك الانحاء البعيدة . وقال « دون كلمات » في معجم الكتاب ان

(١ Joseph : *Antiquités Jud.*, III, 1, 2

الشرقيين يسمونها « النهقة » وزعم غيرهم انهم يصلحون المياه المرّة بالغرقد (Peganum retusum) وهي شجرة صغيرة شائكة تنمو بقرب العيون وتثمر ابان الصيف حبوباً حمراء حلوة الطعم. ولعلّ ذلك ما حمل بعض المحدثين ان يجعلوا مرحلة الاسرائليين الاولى عند عين جنوبي سويس على ثلاث ساعات فيها تُدعى عين الغرقد وقال فرديناند دي لسبس في خطاب القاهُ في ننت (Nantes) عن ترعة السويس في ٨ كانون الاول ١٨٦٦ : « ان العرب كانوا يلقون في المياه نوعاً من فصيلة الشوك يجعل مُرّاً فيلطف مرارة الماء » وعندنا انهُ لا يزال في هذه المسألة غوامض واسرار لم يفتح العلم بعد مُقفلها. ولعلّهُ اقرب الى اليقين ان يُقال انّ الله الذي ارشد عبدهُ موسى الى الشجرة جعل فيها ايضاً قوّة عجيبة لتصلح طعم تلك المياه الغزيرة لتكفي تلك الجماهير المجمهرة وتروي غليلهم. وقد رأى الآباء في هذه الشجرة رمزاً الى صليب الربّ الذي ازال بعذوبته مرارة مياه الحياة التي كان اجراها الله صافيةً من الفردوس لبني البشر ليحييهم فجاءت الخطيئة الاصليّة وكدّرت تلك المياه وحوّلتها الى مرارة وبقيت على رنوقها ريثما اعادها عود الصليب الى صفائها

رحلة مهاجر لبناني

من بيروت الى البرازيل

للاديب حبيب افندي فريحه البشلاني

سافرنا من بيروت مساء يوم الاثنين في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٠ في باخرة افرنسيّة من شركة « ماجري مريتيم » قبل غروب الشمس بقليل فكان منظر لبنان وهو يغيب عن اعيننا من اجمل ما تقع عليه العين والشمسُ ترسل آخر شعلة من نورها على اعالي جبالهِ فارسلنا معها آخر وداعنا الى كل الاهل والاحباب الذين فارقناهم

وكان عدد الركّاب على ظهر الباخرة يبلغ المائتين ما عدا ركّاب الدرجات الثلاث واكثرهم من حوالي الشام وجهات حوران ولم يكن اللبنانيون عدداً كبيراً